يسعد صباحك

علي مدهش

تبًا لها من مهزلة!!

○ ○ برزت بعض البثور المشوهة لجماليات الاشياء التي تفوقت بها على نفسها جداريات المحطات الفضائية العربية من خلال بثها المباشر للدورة الآسيوية لكرة القدم المقامة حاليا في دولة الامارات العربية المتحدة وذلك عبر فتح قنوات الاتصال لكل من هب ودب من مشاهديها في كل مكان.

○ ○ للقنوات الحق في اختيار الوقت الذي يتناسب مع استخدامها الخارق لأدواتها ووسائلها التقنية وامكانياتها الفنية الكبيرة التي باتت تتعامل بها مع مشاهديها بمقدرة ومهارة فائقين مستغلة في ذلك «عالم القرية الكونية». ومعها الحق ايضا في ان تستعرض عضلاتها وتبني لها «عشاقا» وسحرا جذابا وخاصا في وجدان المشاهد. واظن انها نجحت وبنسبة عالية جدا في كسب «المستهدف» وخاصة في هذه الدورة التي قدمت فيها افضل ما عندها من خبراء الكرة العرب المتمرسين في النقد الفني وفي طليعتهم المدربان القديران عبده صالح الوحش وعبدالمجيد الشتالي.

○ ○ لكن المصيبة ان هواة الثرثرة المرضى بنقص المناعة من النوق وقلة الادب ومن المعرفة ايضا تهافتوا على «القصعة» للاجهاز على ما تبقى من الآمال العربية المعقودة على الرياضة في ان تبقى بمنأى عن الصراعات والتناقضات العربية – العربية.

○ ○ في حين كان يجب ان تضع هذه الوسائل الفضائية الاعلامية في حسبانها قمع كل الاختراقات التي تحاول افساد الاجواء الرياضية وشحنها بالسوداوية السياسية وايضا اخراس الأفواه المتطاولة على اساتذة العالميين كبارا إذ يفترض في «المتصل» ان يعرف حجمه. اولا كتلميذ صغير ولا يتطاول عليهم بإسداء النصائح القميئة.

ذلك لأنهم الأولى بتلقي النصح بدلا من التعالم والافراط في الجهل. وتبًا لها من مهزلة.

افيـــاء

عزيزة المانع

هجوم أبي فصيح

وصلتني رسالة من احد القراء المثابرين، الذي اختار لنفسه لقب (ابو فصيح)، وهو يعلق في رسالته على بعض ما قرأه لي من مقالات نشرت خلال الشهر الماضي، وابو فصيح يكتب باسلوب فيه كثير من الظرف، ولو لا هذا الظرف لغضبت من تعليقاته ولتخاطبت معه بلهجة تتلاءم مع ظنه في، فهو يصفني بقوله (ما انت بقليلة شر).

والموضوع الاول الذي يعلق عليه هو ما نشر بعنوان (الدلوعات) والذي كان يسخر من البعض الذين يهاجمون النساء عندما يرفضن الزواج من رجال يكبرونهن في السن بأعوام كثيرة. وابو فصيح خانته فصاحته هذه المرة، فهو لم يدرك فحوى المقال وظن اني ادعو الى ان لاتتزوج النساء ممن يكبرونهن في السن. ولم يكن هذا بيت القصيد، فأمر اختيار الزوج او الزوجة هو حق خاص ليس لطرف بعيد التدخل فيه، لكن الذي لم يعجبني وقصدت اليه هو ان تلام النساء او يوضعن في مقام المذنب فيما لو رفضن الاقتران بزوج منتهي الصلاحية.

ونصيحتي لك يا ابا فصيح ان تنبذ عنك الاستشهاد بالامثال فقد تنقلب ضد ما تريد، كما هو الحال في مثلك العتيد (ظل راجل ولا ظل حيطة)، (فالحيطة) هي الكاسبة في هذه المقارنة، اذ ان الرجل متحرك وظله غير ثابت، فهو غير مأمون البقاء، اما الحيطة فهي ثابتة باقية تستطيع المرأة ان تستظل بظلها كلما شعرت بالحاجة الى ذلك، ثم ان ظل الحيطة اكبر واوسع فتستطيع المرأة ان اخطأ، وهو امر متوقع الحدوث، عليه الاعتراف بخطئه والمبادرة الى تصحيحه، حتى يضمن ان لايتسرب الى العقول الشابة ما يسيء اليها او يشوه الصواب لديها. هذا كل ما عناني قوله، اما النيل من الاشخاص فليس هو من دأبي ولاعادتي، بل اربا بنفسي ان اضعها في مثل هذا الموقف، فتعلم يافصيح ان لاتشيد بنيانك على اسس واهية فيسهل نقضه.

والتعليق الثالث يدور حول مقال تناولت فيه تحليل بعض ما يصلني من رسائل القراء، ومرة اخرى يبني ابو فصيح تعليقه او نقده على الظن، فهو يظن اني كتبت ذلك المقال ولم يكن في ذهني سوى شخص واحد معين اريد اسقاطه، والحق انه كان في ذهني اشخاص كثر وليس شخصا واحدا فقط، اتوق الى ان يفهموا ما كتبته ويتمثلوه جيدا، وليس لك ان تلومني وانت لم تطلع على ما اطلعت عليه من بعض تلك الكتابات.

وبعد، فاني اشكرك على متابعتك وحرصك ودعائك اللطيف الموشح بالسجع البديع، غير انه بقي لدى شيء اخير اود ان اهمس به في اذنك، الست من قال انه اطلع على دراسة تحذر من (تناول الادب والادباء) فما بالك مصرا على التحرش بهم؟

الرياض ١١٦٦٢
ص. ب ٨٦٦٢١

في الوقت الضايع

علي محمد الرابغي

عبدالله بن عبدالعزيز في رابغ.. (٢/١)

بكل تواضع وفخر ومصداقية.. اتنازل عن هذا الحيز.. لأهالي رابغ.. كنافذة تطل كلماتهم المفعمة بالحب والولاء.. والزهو.. واستسمحهم عذرا.. ان تجاوزت.. فالهدف واحد.. وان اختلف الاسلوب.

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

ان تشرف رابغ وقراها ومن حولها.. بزيارة احد قمم هرم المسئولية.. فذلك فيه اشارة غنية بشتى الدلالات.. تؤكد عناية الدولة بهذه المنطقة وتثمينا لدورها التاريخي.. الذي جسد معاني الاخلاص والتلاحم.. والثقة في عبدالعزيز.. الذي حفظ هذا الحب وقدره.. واشاد به في اكثر من مناسبة.. الامر الذي جاء ترصيعا لهامة كل فرد في هذه المنطقة.

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

ان زيارتكم لرابغ.. قد بكرت قبل وصولكم فتجلت في الافق ارهاصات الخير.. وبارك الله هذه الايام.. فاعطت السماء من معين الخير.. مما اشاع في سماء المنطقة البهجة والانشراح وجدد التفاؤل..

وتأتي زيارة سموكم الكريمة لتغرس في القلوب وعلى الارض بذور اشراقات جديدة..

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

ان من طلائع اليمن لهذه الزيارة.. هذا الطريق الذي حصد الارواح وملأ القبور.. بالموتى والنفوس بسحابات الاحزان.

وجاء الفرج على يد سموكم الكريم.. في اشارة بالغة.. الى مدى تفاعلكم مع الام وآمال مواطنيكم.

سد وادي رابغ:

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

ان وادي رابغ.. يمثل ثروة قومية تتجمع فيها آمال جسام لابناء هذا الوادي.. الذي يسيل في كل عام نحو ٨ مرات.. ولكن هذه الثروة المائية.. تذهب هدرا الى البحر.. لتغرق آمال المواطنين والمصلحة العامة، وتقذف بهما الى اعماق البحر.. والسد ضرورة ملحة ذو فاعلية قصوى.. في تنمية موارد الانسان في رابغ.. وفي الارتقاء به نفسيا واجتماعيا.. وقد طالبنا.. وادرج اخيرا في الميزانية.. ونتطلع أن يرى النور قريبا..

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

ان السيول فضلا عما تمثله من هدر لطاقة مائية.. نحن في أمس الحاجة اليها.. فانه يمثل خطرا على ارواح المواطنين.

كلية البنات:

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

لقد بلغت نسبة الخريجات من المرحلة الثانوية ارتفاعا ملحوظا يأتي ذلك ترجمة صادقة وأمينة.. لحجم الفضل الكبير الذي قدمته هذه الدولة بقيادة خادم الحرمين الشريفين..

وبرعاية كريمة من سموكم الكريم ورجالات الدولة المخلصين.. ولكن.. ذلك شكل عبئا نفسيا وماليا واجتماعيا.. على الاهالي والبنات والبناء.

فالجامعات بفروعها تتمركز في المدن الكبيرة.. والاولاد بالامكان ذهابهم.. ولكن البنات وهن (محارمنا).. يمثل خروجهن مشكلة تتكرر في كل عام..

ففي كلية البنات في جدة لاتتوفر المقاعد الكافية واذا ماتوفرت.. فان المشكلة الاخرى في توفير السكن.

وتقدرون سموكم حجم المشكلة

لأن البعض يبكر من الصباح الى جدة ليقطع نحو ١٦٠ كم.. في طريق الذهاب واخرى في طريق العودة مع مايكتنف ذلك من رهق وخطر.

ايها العزيز ابن عبدالعزيز:

لعل سموكم الكريم يتفضل بطلب احصائية دقيقة من الرئاسة العامة التي رأت احقية المنطقة لكلية.. ويتطلب ذلك توفر الامكانات المالية.

وبعد: فإن ملحمة العشق تأصلت.. واعشوشبت شبت ايام التاريخ.. ترسم على الارض.. صورا زاهية.. تشع بآلاف المعاني لعل ابرزها الوفاء والتلاحم والتقاء القلوب الخيرة.. عن غير ما زيف او تصنع او تكلف.. انما هي السجية الخيرة وتلقائية المصير.. الذي شاءته ارادة الله..

فكان اللقاء الذي اثمر الخير وطرحت الدوحة ظلالها.. التي نعيش في افيائها الان.. وزيارة عبدالله بن عبدالعزيز.. هي احياء لسنة قديمة.. بدأها عبدالعزيز الذي حفرت خطواته.. مكانة سامقة في قلوب رابغ واهلها.. وللموضوع بقية..

نحو المستقبل

توفيق السيف

مدينة الاغراب

تؤثر انماط المعيشة السائدة في مجتمع ما، على قيمه وطريقته في تشكيل الروابط التي تشد كلا من افراده الى الآخر، وهي تشترك مع القيم التاريخية ومصادر الثقافة الاخرى في صناعة الاعراف والتقاليد. فنمط المعيشة الريفي، يوجد علاقات اجتماعية ارقى واشد تماسكا من مثيله المديني، فالقرب الجغرافي والحاجة الى العمل المشترك، والانقطاع النسبي عن المؤثرات الخارجية، تقيم وشائج يعززها التقارب العائلي وتماثل المصالح، فالفرد هناك لايشعر بنفسه منفصلا عن عائلته الكبيرة، ولا يرى مصالحه الخاصة خارج الاطار المعيشي والثقافي السائد، خلافا لما عليه الحال في مجتمع المدينة، حيث العلاقات الاجتماعية مستعجلة او قصيرة الامد، وهي انعكاس لعلاقة اخرى، اقتصادية او وظيفية محدودة زمنيا.

في القرية يحتاج الفرد الى قليل من الاهلية لكي يرتب حياته، فالعلاقة الوثيقة بالمحيط، توفر نوعا من الكفالة الجماعية للفرد، بغض النظر عن مقدار عطائه، ولهذا نجد الناس هناك يتزوجون وينجبون اولادا، قبل ان يتأهلوا –ماديا– لضمان معيشة اسرة جديدة، فالجماعة هي الكفيل بهذه الامور، انها تقدم للفرد جزءا من ثمن ارتباطه الكلي بها.

لكن الامر مختلف في المدينة، حيث الفرد مضطر الى مجابهة تحديات الحياة دون كفيل، سوى كفاءته الذاتية وجهده الخاص، هنا ايضا لايشعر الفرد بدافع شديد للارتباط مع الجماعة التقليدية، فما يشد افرادها الى بعضهم، لايصل الى مستوى (الكفالة) القائمة في القرية، اذ كل فرد فيها مشغول بمجابهة مايتوجه اليه من تحديات.

ثمة عدد قليل من الناس يستطيع الاتكال على عائلته في ضمان العيش، والانطلاق الى الحياة العادية لتشكيل اسرته الجديدة، وتجد هذا –غالبا– في العائلات التجارية، التي استطاعت تشكيل نظام للمصالح المشتركة يربط بين العلاقة الاسرية وحاجات الحياة، اما الاكثرية الساحقة من الناس فقدرها ان تواجه هذا التحدي دون معين.

هذا النمط الحياتي يحيل الفرد الى التركيز على ذاته، والنظر الى مختلف الامور بحسب ما يراه صالحا لها، وهو قد يتأثر بعوامل اخرى، في تقديره لما هو صالح وماهو فاسد، لكنه لايعدم مبررا لمطابقتها مع اراداته الخاصة، او تركيب الدوافع الاجتماعية على الحاجات الذاتية، لكي يرضى ضميره، ويحافظ في الوقت ذاته على اولوياته الخاصة. والحقيقة ان معظم الناس يميلون الى (استخدام) المعطيات والقيم العامة في صياغة موقع خاص لهم، يأنسون به ويستثمرونه، فيجدونه فعالا اذا جرى الحديث عن واجبات الفرد تجاه الجماعة، ويجدونه مثمرا اذا ارادوا تعبئة قواهم لتحسين اوضاعهم الخاصة، المعيشية او الاجتماعية.

في كل الحالات فان الفرد هنا يشعر باستقلاله، بتفرده، وهذا على أي حال ليس بالامر السيء، شرط ان يتهيأ المجتمع لاستيعاب هذا التطور، ان شبكة العلاقات في المجتمع القروي والقيم التي تنتظمها، تنطوي على الزامات تردع الفرد عن اختراق النظام، لكن هذا النوع من العلاقات مفقود في مجتمع المدينة، ان قابلية المجتمع للاستيعاب تعني تحديدا وجود نظام للكفالة في جانب، والالزام في جانب آخر، فغياب الكفالة الاجتماعية يحول الذات الى بديل عن المجتمع في ذهن الفرد، وغياب امكانية الالزام والردع يجعل الفرد عاجزا عن نيل حقوقه بطريقة سليمة، ويحيله الى اخذ حقه (بيمينه) كما يقال، بدلا من اخذه بالقانون. الكفالة والاحتواء هما الحق الاولى للفرد على المجتمع، والقدرة على نيل هذا الحق بطريقة محددة واضحة، هي الفرع الاهم لهذا الحق، فاذا ضاق المجتمع عن حاجات الافراد، او انكر خصوصيتهم، ثم عطل قدرتهم على المطالبة بما يريدون، فلن يكون امامهم سوى اعتزال الحياة الاجتماعية، او الوقوف من المجتمع موقف العداء، ثم السعي لإستنقاذ ما يعتقدونه حقا (بذراعهم) اي ارتداء عباءة المدعي والقاضي والجلاد في الوقت ذاته. نحن بحاجة اذن الى تقرير حقوق الافراد، وتقرير الوسائل التي يمكن لهم ان يتوسلوا بها لنيل هذه الحقوق، وبيانها بصورة لاتحتمل اللبس، فهذي هي المرحلة الاولى في صناعة المجتمع الجديد، لقد تآكلت مجتمعاتنا القروية، حتى لم يبق منها غير المكان، واصبح مجتمع المدينة، باعرافه وانماط حياته وحاجاته هو المجتمع الحقيقي، وهو يتجه بكل سرعة الى تعميق جذوره وتثبيت نفسه كنموذج وحيد، وهذا ينطوي على دلالات ايجابية، لكنه لا يخلو من تحديات تحتاج الى مجابهة وعلاج، حتى لايكون الفرد مغتربا في بلده، قلقا على مصيره، باحثا عن طريق له وحده.

الخيال مات... تخيّل!!

○ يا توأم نفسي... ايتها الكرامة:
أستفتح رسالتي اليك، أو ندائي عليك بأبيات لشاعر من وطننا «العربي الكبير»، قال فيها:

– (وأسأل عنك من جاءوا، ومن رحلوا
ومن تاهوا ببطن الحوت
بين مسافة الاصرار، والرخوة
ومن وصلوا، وعبوا من دم الجذوة:
أما «شفتم» شقيقة روحي المضناة... يا إخوة)؟!

لعلها أبيات يرددها «العربي» الذي تزاحمت أطماع وقوة العالم حوله، للقضاء على ما تبقى له وفيه من: كرامة، واستقلال قرار، وحرية إنسان!

وفي عالم الانسان الاصغر.. ذلك الذي يخص طموحاته، واحلامه، وامانيه، حبه وكرهه.. قدراته وعجزه.. جهده وتقاعسه: ينعكس السؤال ذاتيا: او ملتحما بمعاناته، وبأفكاره، وبمشاعره.. وهو يركض وراء اكتمال الزوايا الحادة في مشوار عمره، يطوّح بالخفقات، وقد يرمى بها في عمق مياه المحيط، ويشرب من ماء البحر!

وفي نداء كل انسان على هذه الثمينة الغالية/ الكرامة... يريد أن ينتشل من أودية النفس السحيقة.. وجدانا عصفت برحابته مواقف المطالب التي قد تقذف بالكرامة الى الرمادية!

●●●

● وفي هذه الثمالة من العمر.. اشعر– كانسان– ان وجداني يرتقي مرتفعات اعجزته، من شعاع حس.. يهرب بي –قدر استطاعته!– من زمن يضاجع رغبات البشر المتوارية في كهف الانانية، والاطماع الذاتية المحضة.

اجمل الاشياء.. سقطت حين البحث والرحيل، وخلف خطوات المطالب... ضاعت في البدء!

قادم اليك –يا توأم نفسي– خلف هذا الغسق الذي نعيشه في زمن التفريط، والادعاء، والجحود... اغسل امامك: جروح الهمس، وأيلسم طعنات الغدر في حياة ملئت بالمطامع التي فاضت، فحولها الناس الى: مطامع.. وانا مغمور في وجع الاخذ الدائم!

احاول الآن: هزيمة هذا الخوف الذي شاع في عقولنا قبل نفوسنا.

ابحث عن راحة ما بعد الالم.. تلك التي تنظف الوجدان من قتار السلوك الذي صار: اعتياديا!

انادي على المودة التي بهتت، بعد ان فقدت هويتها في مجتمع (انساني) –على امتداد العالم– دمرته النوازع او تكاد.

استجلي «الحقيقة»/ ضوء من الله عز وجل.. وعن نبع الحب في حياة اضاع البشر فيها: نقاء الشعور، وعفوية الوجدان... فتشوهوا!

●●●

■ حكاية... اللاشيء:

○ هل أحكي لك حكاية.. يا توأم نفسي؟!
رأيت البارحة فيلما، عرضته إحدى هذه الفضائيات التي تتكلم العربية، وتُقدم: كل ما هو ليس عربيا.. بطل الفيلم: كاتب روايات ومسرحيات، مرت في حياته تجارب مع نساء عديدات، او لعلهن «متعددات!».. ولم يجد في كل واحدة منهن: حلمه، حتى التقى امرأة قدمها له مخرج احدى مسرحياته بأنها: البطلة لروايته الجديدة!!

اقتربت منه جدا بشعور الاحترام له، والاعجاب به ككاتب.. ودعته يوما الى استراحة لها بعيدة عن صخب المدينة في منطقة نائية محاطة بالاشجار، وذلك بمناسبة عيد ميلادها مع مجموعة من اصدقائها وصديقاتها (تقليدا لمجتمع الغرب)... ثم دعته بعد ذلك ان يأتي وقت ما يريد، أو عندما يرغب في الكتابة بعيدا عن الصخب والناس، وأوصت الخادم المقيم هناك بخدمته!

وهكذا... لبى الدعوة، وتردد مرارا وحده، وكتب الاجمل مستمتعا بالمناخ الرائع، وبالتخيل.. حتى فوجىء بها يوما تدخل عليه ومعها غداء أعدته له، كان يتابعها وهي تقوم على خدمته.. تؤكله، تحضر له الشاي وهو يكتب، تضع على كتفيه غطاء مع بداية دخول المساء يقيه من لسعة البرد!

لقطة عشق رائعة وعميقة، بدون عبارات غزل.

حين آفاق من معاناة الكتابة، وجدها تجلس أمامه تتأمله، ولم يكن يشعر بوجودها في اندماجه.. وضع القلم على الورق، وقامت هي لتمسك بيده، وأخذته الى أريكة واسعة ليرتاح من عناء الكتابة!!

وحين استيقظ في الصباح.. لم يجدها، لقد رحلت وتركت له ورقة كتبت له فيها:

– لقد تحقق حلمي.. تمنيت ان أراك (انسانا)، وقد تعمقتك في هذه الصفة.

الآن... لا أريد منك شيئا، انني لا استطيع ان أحبك حتى الامتلاك.. فمثلك طائر يحتاج الى التحليق دائما!!

●●●

■ خطوات... في الغربة:

○ يوم مات صديقي الشاعر العراقي الذي غرّبه عن أرضه ووطنه: جور وفساد قيادة وطنه: طفرت دمعة من عيني/ عفوية.. كأنني بكيت على خفقة عتيقة من خفقات قلبي التي تناثرت مابين ذكريات العمر، أو على جدار الضلوع مماثلة.. منذ ذلك الزمان العتيق الجميل، يوم أهدي الي ديوانه الاول: (خطوات في الغربة)، وربما كان الاول بالنسبة لي عنه!

هكذا يموت الحالمون/ المنبوذون من مجتمعاتهم (الواقعية) الى درجة القسوة، ثم..... الاسقاط!

● وتساءلت يومها: منذ متى لم تلمس أصابعه ذرات من تراب وطنه؟!

● واية ادانة موجهة للشاهد المقتول؟!

● وهل صارت أرض الاوطان (مرة) لكل الذين شُهدهم الحرية في انتظار بزوغ الفجر... مثل هذا التسهيد الذي يعاني منه كل مواطن عراقي داخل وطنه؟!

كأنني أصغى الآن الى نشيج الزهرة الحمراء.. الى بحة قيثارة تخلل الرمل فتحاتها.

ونصرخ: لا شيء هنا... لا شيء هنا.

جمع الناس صور العمر في كأس، ومازالوا على خلافهم القديم جدا.. لم يتفقوا على أي نصف للكأس: هل هو فارغ أم ملآن؟!

لم تعد للعالم العربي قضية أهم من التوصل الى طريقة يدفنون بها ظلهم..... فحتى الظل صار يخيفهم.. وحتى الظل: ممكن أن لا يكون ظلهم!

وهكذا استطردت وراء خطوات «بلند» في الغربة، منذ وعينا، وتشرنق لنا حلم جميل، وحتى سقط (الحلم) في الاحباط، والاهانة، ثم.... في الغيبوبة!

وهكذا –ايضا– اعترضني موت «بلند» واوقفني –واحدا من هذا الجيل– شاهدا على خسارة جديدة للحالمين/ المنبوذين!

وينتصف الليل الآن في غرفتي، او سنتجمع.. فاتذكر عبارة قالها (دوق)، هي:

– «إنني أموت عطشا... عند النبع»!

(خُيل الي..... ها): أنني ذات مساء اقتربت من دفء روح، أي اقتربت من النبع، ولكن عطشي يزداد الى..... الحب!

فكيف يمكن –في عصرنا هذا– ان تميل عاطفة الانسان الى: الخيار الديمقراطي؟!

لابد ان «قلب» الانسان ينتخب حياة لخفقته، وينتخب صدره عمارا لحياته، وتنتخب حياته نبضا لشرايينه، ولكن... كيف في (مادية) الواقعية من جانب، او في هذا الخوف من العطاء العفوي؟!

وكيف يمكن ان نجمد ما نشعر به، ونضغطه حتى يصير بذرة، ونضعه في برشامة، ثم نقذف به الى الوراء.. لنعيشه اصداء من الذكريات التي ستصبح قديمة؟!

صعب على قلب المحب ان تكون الحبيبة فيه: «حياة الموت»... فهي ليست زمنا دائريا، حتى لو «لذ» لها ان تشاهد المحب لها يدور حول نفسه كالكرة الارضية!

ذلك يذكرنا بعبارة محمد شكري في روايته العالمية: «الخبز الحافي»، وهي:

– «قل كلمتك قبل ان تموت... قبل ان يتوقف قلبك عن الحب فجأة، فانّ الكلمة ستعرف طريقها حتما، لا يهم ما ستؤول اليه.. الاهم هو: ان تشعل عاطفة، او حزنا، او.... حتى نزوة غافية.. ان تشعل لهبا في المناطق اليباب»!

وليس في تأكيدي هذا: غياب عن الوعي، ولا حتى محاولة «تغييب»، ولكنه يبدو شيء مستمد من: حادي العيس!

إنني احاول مزجك– ياتوأم نفسي– بنفسي، بعمقي، بحزني على ضياع الكثير من القيم والمبادىء، وتشتت التفكير: المعاصر/ المعصور.. واغتيال ذلك (الحلم العربي)، وإيداع جثته في مركبة فضائية سكسونية، تضيع مابين السماء والارض، وتدعى امريكا –ايضا– ملكيتها... وليسقط سقراط ومقولته:

– «الحلم... هو: اللغة التي ينطق بها صوت الوعي»!

فأي وعي نطق.. أو مازال ينطق؟!

●●●

□ يعيشون... ولكنهم لا يحيون:

○ يبدو ان الناس اليوم: (يعيشون)، ولكنهم (لا يحيون).. او انهم يعيشون الايام بواسطة زر!

ذهب الاصدقاء ورفقاء الحوار.. وبقي رفقاء السمر، وهؤلاء ليست لديهم صفارة يُدهشون بها هجوع المواني»!

ذهب الاصدقاء/ نعم... دعستهم انانية المصالح، وتاليه الذات، فتنكروا حتى لإصداء الزمان!!

هكذا صرتُ ألزم موضعي، مللا من روتين الخروج الى حيث يزداد الانسان: احباطا، او سأما من هذا التعوّد او الآلية!

انها المتعة الكربونية في هذه اللحظات التي تفترسني، و.... قد أبكي عليها بعد ذلك، فالقادم لن يكون أحلى، كما تصور الشاعر/ الهادي آدم!

ولست متشائما في هذا الاحساس، ولكن... يبدو أن الرسام السيريالزمي «سلفادور دالي» صادق في مقولته هذه:

– «من الصعب الاحتفاظ باهتمام العالم أكثر من نصف ساعة»!

فهل مات «الخيال» حقا؟!

اركض الى الكتابة– وهي عندي عشق– لكني احيانا: انهزم بها!

صراخ (الانسان) اليوم: يشكل ولادات اصوات متعددة لانسان واحد: محبط في اعماقه.. في عالم يقف الآن ضد ابتكار الامنية، ويعمل على: افساد حلم الانسان!

وفي كل هذا الصراخ، ورغما عنه.. أجد عندي قدرة على (التخيُّل)، والجميع ينعي الخيال، مرددا: الخيال مات... الخيال مات، فتخيل!!

تبقى لدي هذا «التخيُّل» الذي امنح نفسي فيه لكل الدروب المعشبة، المكسوة بابتسامات الناس، حتى ولو كانت: ابتسامات كربونية.. ولكل المنطلقات الزاهية برفاهية السنابل على امتداد العمر.. ولكل الطرق المضاءة بالنجوم المغسولة بالغيث بعد انقشاع السحب!

ولكن.... كيف (أفلح) كل هذا التخيُّل في عصر (صبخه)؟!

الجمال، والنماء، وانتشاء الزرع عندي.. يتمثل في: امتلاك الانسان لحريته، وحرية الانسان في رؤيته هي: أبعاد الجمال، واعماق النماء، وغناء الزرع.

والجمال عندي هو: الرحمة... وقد تتمثل الرحمة في: كلمة حق تهزم باطلا، وفي طلوع زهرة، وفي نزول الغيث، وفي جدول رقراق، وفي رقصة ساق وردة اخضر!

انني انفر من سلوك (الترصُّد) حتى لو كان لذاتي... بل مع الذات المحبة في ساعة الانبثاق، او لحظة ولادة فكرة تعود بالخير للجميع.. حينذاك: اجتاز التعب، وأعبر أمواجي، وأرفع راياتي على كبدي... (كأن النهار صخور من العصور)، وكأنّ الليل: كوخ فقير يشتاق –في غنى النفس– الى ذلك التعبير الذي يتبلور فيصبح: اعتبارا، ولو سكبت من أجله العبرات!!

●●●

■ الدمعة... حركتي:

● وبعد/ ياتوأم نفسي– ايتها الكرامة:

اذا كفَّ سؤالي عن الاستفهام، والاكتشاف، والمعرفة.. صارت حياتي رتيبة.

لابد –اذن– ان اقتحم ولا اتوقف.. وان اواصل العشق لكل ما احب ومَنْ أحب حتى لا يسقط امامي في الخوف او في التردد. واسقط دونه!

الآن... صار يبكيني موقف بسيط جدا من عيني طفلة او طفل.

وأجلّس في منتجعي: أتأمل ابعاد مواقف الانسان: قسوة امومة دفعت الطفلة للبكاء، وعناد طفولة يسعدني جدا لتأخذ حقها، و.... طفولة (جدّ)، كأنني في هذه المرحلة من العمر: صرت اواصل حركة الحياة بداخلي، او حركتي بداخل الحياة.... بالدمعة (!!) وهناك من يستحق دمعتنا، وهناك من يقتها، وهناك من يتعالى على دمعته... فيجف من العاطفة!

ان الدمعة ليست مجرد «نقطة» تنزلق من العين، لكنها: رؤية، وبوح، وراحة... وفي بعض الاحيان، ربما هي: جموح الى درجة الرفض!!

من أجل أن (نحيا).. لابد ان: نسأل، وان نحزن، وان نعشق، وان نقتحم!

لابد ان ندع عقولنا تمارس الالعاب السويدية... لئلا تزداد ترهلا كاجسادنا.

لابد ان نفرج عن (خفقاتنا) التي اعتقلناها مع: حرية عقولنا!!

فهل ما اتمناه: خيال، او تخيُّل... أم إن الخيال: مات؟!!

###

■ الى اللقاء:

○ للشاعر السوري الكبير/ سليمان العيسى:

– نحن الذين تلقفتهم: نغمة
من نايٍ راعية.. وبيت شارد
تخضرُ في صدر القوافي.. مثلما
تخضرُ في صدر الربيع: نواهد!!

كلمات... لها موقف:

عبدالله الجفري

الثقافة الملعونة!!

د.عبدالله محمد الفوزان*

لا يتردد البعض منا في ان يسب ويشتم ويلعن ويحط من قدر ثقافة الغرب وينعتها كلها بالفساد والعهر وعدم الطهارة مع انه ينعم بالكثير من خيراتها.

فهذا الصنف من الناس تعميه عاطفته ليقف موقفا معاديا للثقافة الغربية كلها لمجرد انها اوجدت لذاتها آلية الهيمنة على بقية الثقافات بما فيها ثقافتنا العربية وينسى انه لو ابصر بالثوب الذي يرتديه والسيارة التي يقودها والطائرة التي ينعم براحتها لادرك ما للثقافة الغربية من افضال عليه. وحين ادافع عن الثقافة الغربية فانني لا ادافع عن الجانبين العقدي والاخلاقي الفاسدين فيها بل ادافع عن الجوانب المضيئة فيها وبخاصة الجانبين العلمي والعملي اللذين يستدعيان الانصاف من قبل اولئك الذين لا يتورعون عن اطلاق احكامهم العامة على الثقافات والمجتمعات فيصمونها اما بالفجور والاسفاف كلها او بالتقوى والورع كلها.

لقد استفزني احد الاخوة الغيورين على ثقافتنا والمقهورين من تأثر شبابنا بثقافة الغرب حين قال لي بعظمة لسانه: اننا نتوقع من نخبتنا المثقفة ان تشوه صورة الغرب وثقافته في عقول شبابنا من أجل ان يحتفظ هؤلاء الشباب بهويتهم واصالتهم الثقافية. وما كان امامي الا ان رددت عليه قائلا: اما انا فاتوقع من نخبتنا المثقفة ان تنصف الغرب فتسجل الوجه المشرق في ثقافته وتحط من قدر الوجه الفاسد فيها. هكذا ينبغي ان يكون دور النخبة المثقفة في مجتمعنا والا سوف تجني على نفسها لو ادخلت ذاتها في معمعة النظرة الموضوعية لتقدح في كلية الثقافة الغربية بلا تمييز.

كلامي هذا لم يعجب محدثي بطبيعة الحال وارتسمت على وجهه نظرة عابسة لا تخلو من ظنون وشكوك فقال: يبدو ان الغربيين –يقصد الامريكيين ابان دراستي في الولايات المتحدة الامريكية– قد قلبوا دماغك رأسا على عقب وربما علمنوا افكارك. قلت عجبي ايها الاحمق المتسرع في احكامه والجاهز المجهز في تصنيفاته: أتمجد ان ادعو الى الانصاف في الحكم وعدم الجور في تقييمنا نحن المسلمين للثقافات الاخرى تتهمني بالعلمانية التي اجزم في عدم احاطتك بمعناها ومغزاها. اما تقرأ قول الله عز وجل في كتابه الكريم وهو يدعو المسلمين الى العدل والانصاف حتى مع اولئك ممن لايشاركوننا ملتنا... «ولا يجرمنكم شنئان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى» فمن العدل ان ننصف الآخرين وثقافاتهم فلا نفرط في الذم ولا نفرط في المدح. واذا كانت الثقافة الغربية تنطوي على مفاسد في جانبها العقدي وبعض جوانبها الاخلاقية الا انها اخذت زمام المبادرة في مجال العلوم لتنتج لنا من المخترعات والمكتشفات مالم يكن في حسبان احد منا.

وحتى الجوانب الاخلاقية في الثقافة الغربية ليست كلها فاسدة، اذ تجد فيها احترام كرامة الانسان... وفيها الصدق في المعاملة... وفيها التسامح مع الغير... وفيها العدل وعدم الجور في الاحكام. وفي الجانب الآخر هناك العلم مزدهر في كل مجالاته... والعمل الدؤوب هو ما يميز حياة الناس... فهل من العدل بعد كل هذا ان نتجاهل هذه الجوانب المضيئة في ثقافة الغرب كي نتعمد تشويهها ونقدمها لابنائنا بصورة تقشعر منها الابدان؟ أتمنى الا نعمد الى مثل هذا الاسلوب والا اصبحنا اضحوكة لشبابنا الذين سوف يدهشهم منظر الطائرة وهي تحلق فوق اعناقهم ويعلمون انها من صنع الغرب... وسوف يندهشون اكثر فاكثر لو قلنا لهم ان الغربيين لايصدقون في القول ولا يحترمون الانسانية ولا يخلصون في العمل لأن مجرد زيارة واحدة يقوم بها البعض من شبابنا لاحدى الدول الغربية كفيلة بأن تكشف زيف ادعاءاتنا ولن يثقوا ابدا بما نقوله لهم في المستقبل.

ان الناي بشبابنا عن الانغماس في الجوانب الفاسدة من الثقافة الغربية لا يتم بشتم الثقافة الغربية والتعوذ منها وايقاع اللعنة عليها والحط من قدرها كلها وانما يتم بمراجعة شاملة نقوم بها نحن لاساليبنا التربوية الحالية ومضامين ثقافتنا ذاتها ومن ثم اعادة صياغتها بما يحفظ لشبابنا اعتزازه بهويته الثقافية.

وحتى هذا لايكفي، بل لابد ان تتحرك ثقافتنا العربية لاعزاز العلم والعلماء في جميع التخصصات والفروع العلمية وتشجيع الابداعات والمخترعات والمبتكرات.

اما اساليب الشتم والتقريع والذم والقدح واللعن في ثقافات الآخرين من اجل تحقيق مكاسب معتبرة في المجال الاخلاقي فهذه حيلة العاجز الكسول وعفا عليها الزمن.

ان ثقافتنا العربية اليوم لا يمكن ان تعيش بمعزل عن بقية الثقافات، فهي وان كانت مكتملة من الناحية الاخلاقية (على المستوى النظري على الاقل) فانها فقيرة اشد الفقر من الناحية التكنولوجية. وهذا الفقر التكنولوجي في ثقافتنا يجعلها في حالة تنافر مع عصرها ويستدعي تواصلها مع غيرها من الثقافات بما فيها الثقافة الغربية لاستعارة ماتحتاجه منها من مخترعات تكنولوجية.

انني اعجب ايما عجب من اولئك الذين لا يتورعون من ان يتلقفوا كل ما تضخه الحضارة الغربية من مخترعات ومكتشفات ليتجملوا بها ويستمتعوا بفخامتها لكنهم في الوقت ذاته لا يستحون من ان يحقروا من شأنها جملة وتفصيلا ويلعنونها بالليل والنهار في مجالسهم وخطبهم. فهؤلاء اشبه بذلك المذيع الذي قال عنه الفيلسوف الدكتور/ زكي نجيب محمود –يرحمه الله– انه على استعداد نفسي بان يلعن حضارة الغرب وثقافته الف لعنة، ويعوذ بالله منهما كما يعوذ بالله من شيطان رجيم، ومع ذلك فهو يفعل ذلك كله في مذياع او تلفاز او مايكروفون صنعها له ذلك الغرب الملعون.

ان خشيتنا على خصوصيتنا الثقافية لايجب ان تقودنا الى الانعزال عن الثقافات الاخرى، بل يجب ان نعتز بمسلماتنا الدينية ونؤكد عليها وننطلق في الوقت ذاته مع غيرنا من البشر في مجالات العلم والعمل لنصنع معا الحضارة الانسانية ونحقق الاستخلاف في الارض. اما الانكفاء على الذات ومحاولة الانعزال الثقافي فمن غير الممكن تحقيقهما على ارض الواقع في هذا العصر بالذات، ذلك لان التقاء الثقافات اصبح اليوم مسألة جبرية لاتقبل التفاوض او الجدال. واذا كان من الطب